فهو أقرب قالب فنى له فى بنائه الشكلى ، فكل منهما سطور متعاقبة مو
القافية تلتزم الوزن فى الرجز وتحلو منه فى السجع ، ولولا الوزن لكان الر
سجعا . ولعل ارتباط الرجز بالنلبية فى مواسم الحجم وارتباط السجع بالكه
يؤكدان الارتباط بين هاتين الصورتين اللتين تعدان من أقدم الصور الفنية
تاريخ اللغة العربية . وأيضا فقد وردت بعض تلبيات القبائل بالسجع ،
يرجح الفكرة التى تذهب إليها من أن الرجز والسجع اختلط أمرهما فى أذ
العرب القدماء ، وأن كليهما ارتبط عندهم بالحياة الدينية ، أو - ولنكن أ
جرأة - أن كليهما نشأ فى ظل الحياة الوثنية . ولعل شيئا من ذلك هو الذى ج
العرب يتهمون النبى ﷺ فى أول عهدهم بالقرآن بأنه شاعر تارة ، وكاهن
أخرى . وليس من شك فى أنهم كانوا يقصدون بالشعر هنا الرجز ،
القصيدة كان لها شكلها المعروف الذى لا يمكن أن يختلط عليهم .

والظاهرة التى تلفت النظر ، والتى لها دلالة كبيرة فيما نحن بصدده
حديث عن أولية الشعر الجاهلى ، أن طائفة من هذه التلبيات الدينية ور
سجعاً ، ولكنه ليس سجعاً خالصا ، ففيها سطور تتراوح بينها سطور من الر
لم تكتمل لها موسيقاها العروضية ، وكأنها محاولات للوصول إلى النغ
الموسيقية الدقيقة لهذا الوزن ، أو تجارب لاستكشاف الطريق إليه ، فبعضها
يحتاج إلى أكثر من حذف حرف أو زيادة حرف ، أو تعديل كلمة حتى تستقيم
موسيقاه العروضية . وليس من شك فى أن هذه النصوص تمثل مرحلة الانتق
من السجع إلى الرجز . وواضح أننا لسنا بحاجة إلى أن نثبت أنها محاولا
قديمة موغلة فى القدم ، فالحج قديم منذ أن رفع ابراهيم القواعد من البي
وإسماعيل ، ولكن ليس معنى هذا أننا نرجع بهذه المحاولات إلى هذا التار
البعيد ، فهذا لا يستقيم مع قضية اللغة وتاريخ ظهورها فى الجزيرة العربية
وربما نستطيع - ولنكن أشد جرأة مرة أخرى - أن نردها إلى بدء ظهور الوثنية
فى جزيرة العرب . وقد نجد تأييداً لذلك فى خبر يرويه ابن الكلبى فى كتا